أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات*

أو «المقالات الكاملة للأستاذ الدكتور شعبان خليفة»

عـــــرض

عبد الرحمن أحمد عبد الهادى فراج

قسم المكتبات والوثائق - جامعة القاهرة

كلية الآداب ببني سويف

١ - تمهيد :

ليست كل الأعمال التجميعية إفلاساً كما يظن البعض؛ وإنما قد يكون العمل التجميعى الطريقة المثلى لتقديم مجموعة من الأعمال العلمية ذات الموضوع الواحد بحيث تكشف عن أكبر قدر من أبعاده وقضاياه؛ كما قد يكون العمل التجميعى الوسيلة الوحيدة لإبراز عدد من الإسهامات التى تشكلّ أو تبلور مجالاً من المجالات العلمية فى بداياته الأولى؛ وأخيراً قد يكون الوسيلة الوحيدة لجمع أعمال مؤلف معين معاً بدلاً من تشتتها فى دوريات أو أعمال مؤتمرات متعددة، أُعدت فى سنوات متباعدة، وفى أماكن نشر متباينة. ومثل هذا العمل التجميعى الأخير يقدم لنا الصورة أو الخريطة الفكرية الكاملة للمؤلف، وأنماط اهتماماته الموضوعية، وتطور خطه الفكرى عبر الزمن، وهو ما يتحقق فى كتابنا الذى نعرض له فى مقالنا هذا.

ولأن الهدف الرئيسى من «أوراق الربيع» هو جمع المؤلف لمقالاته العامة والمتخصصة بين دفتى كتاب واحد، فإننا يمكن أن نعد هذه المحاولة من قبيل «الأعمال الكاملة» للمؤلفين، ومن ثم يمكن أن نطلق على هذه المحاولة - بشىء من التجاوز - «المقالات الكاملة للأستاذ الدكتور شعبان خليفة».

٢ - المؤلف:

إذا قدّر للتاريخ الفكرى لمجال المكتبات والمعلومات فى عالمنا العربى أن يُكتب يوماً ما ، فإنه لا شك أن الدكتور شعبان خليفة سوف يحتل مكانة مرموقة فى هذا التاريخ، وإذا ما لجأنا لإحدى أدوات هذا التاريخ - وهى الدراسات الببليوجرافية - فسوف نكتشف أن شعبان خليفة يعد من أكثر المؤلفين العرب إنتاجاً فكرياً فى المجال وتنوعاً فى كتاباتهم. فليست حركة النشر موضوعه الأثير الوحيد، ولم تعد إحصاءات المطبوعات ومعدلاتها شاغله الشاغل ، كما لا تقتصر اهتماماته على استعراض حركة الكتب والمكتبات فى البلاد العربية؛ وإنما يكتب شعبان خليفة فى عديد من الموضوعات مثل المكتبات الوطنية والوراقة والوراقيات والكتابة العربية ومواد المعلومات غير التقليدية وتشريعات المعلومات،... إلى آخره . حتى أن قارئه ليحتار : فى أى اتجاه هذا الرجل يبحث، وبأى قطاع يهتم؟ وكتاب المؤلف الذى نعرض له اليوم ، يعبر عن

* شعبان عبد العزيز خليفة. أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات. القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣، ٥مج.

زعمنا هذا خيراً تعبير.

وينتمى الدكتور شعبان خليفة إلى «جيل الأساتذة» أو « جيل الرجال المؤسسات»، فرجال هذا الجيل كل مؤسسة فى ذاته. هذا فضلاً عن أنهم أنجزوا بأعمالهم، ومازالوا، ما كان ينبغى أن تقوم به المؤسسات.

٣ - الكتاب

١/٣ عام

«أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات» عمل تجميعى، أقرب إلى أن يسمى «المقالات الكاملة» قياساً على «الأعمال الكاملة» Complete Works الشهيرة والغزيرة معاً فى بعض مجالات المعرفة مثل الأدب.

وقد صدر من هذا العمل حتى الآن خمسة مجلدات، نشرت عبر خمس سنوات (١٩٨٩ – ١٩٩٣). وتشتمل المجلدات الخمسة على ١٦٣ مقالة، تتوزع من المجلد الأول إلى المجلد الخامس كالتالى : ٧٠ مقالة (نشرت بين ١٩٦٢ – ١٩٧٩)، و٤٩ مقالة (بين ٧٩ – ١٩٩٠)، و٢٤ مقالة (بين ٨٣ ـ ١٩٨٤)، و١٣ مقالة (بين ٨٥ ـ ١٩٩٠)، وأخيراً ٧ مقالات (بين ٩٠ – ١٩٩١). وفيما يختص عدد صفحات المجلدات الخمسة الألف صفة (وبالتحديد ١١٠١ صفحة).

ويخبرنا المؤلف فى المجلد الخامس (ص٣) أن ثمة مجلد قادم يشتمل على الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية. كما أنه من الطبيعى أن يكون هناك مجلد آخر يشتمل على الأعمال التى توفر عليها المؤلف بعد عام ١٩٩١.

٢/٣ العنوان

إن أول ما يستلفت النظر فى «المقالات الكاملة» للدكتور شعبان خليفة هو عنوانها . والحقيقة أننا لا نعلم سبب وضع المؤلف مقالاته هذه تحت عنوان «أوراق الربيع». ولا نجد إجابةً شافيةً من المؤلف اللهم إلا فقرة مقتضبة فى ثنايا مقدمة المجلد الأول (ص٣)، قال فيها : «ورغم أن الربيع دائماً هو أحلى وأجمل مراحل العمر فى جميع الأحوال إلا أنه ليس كذلك فى الإنتاج الفكرى فقد يكون الخريف فى هذه الحالة فقط أحلى وأجمل وأكثر عمقاً من الربيع».

فهل فصل الربيع يمثل لدى المؤلف ذروة النشاط الفكرى، ومن ثم فإنه جل هذا النشاط يعد نشاطاً ربيعياً؟ أم لأنه قد بدأ كتاباته تلك فى ربيع عمره فآثر أن يعود الفضل، كل الفضل، إلى مرحلة غرس الثمار؟ أم يكون الربيع محض عنوان يشير إلى الجمال ويوحى بالسعادة.

٣/٣ الموضوعات

يعبر هذا العمل عن أنماط الاهتمامات الموضوعية للدكتور شعبان خليفة كما تتمثل فيما أعد من مقالات دوريات وبحوث مؤتمرات حتى عام ١٩٩١.

ويمكننا تقسيم هذه الموضوعات إلى أربعة أقسام رئيسية،هى المكتبات النوعية (٤٨ مقالاً، بنسبة حوالى ٢٩ر٤٪)، ومصادر المعلومات (٣٥ مقالاً، بنسبة حوالى ٢١ر٤٪ أو خمس مجموع المقالات)، ثم المعالجة الفنية أو الخدمات غير المباشرة (١٧ مقالاً وبحثاً، بنسبة حوالى ١٠ر٤ أو عشر مجموعو المقالا)، وأخيراً القسم الرابع والأخير وينتظم موضوعات أخرى متعددة لا تنتسب إلى موضوع كبير ولا تنتمى إلى الأقسام السابقة (٦٤ مقالاً ، بنسبة حوالى ٣٩,٢٪).

وفيما يتصل بالمكتبات النوعية، فتأتى على رأسها المكتبات الوطنية برصيد ٣٣ مقالاً، بنسبة حوالى ٦٨,٧٪ من مجموع مقالات هذا القسم، وحوالى ٢٠,٢٪ من مجموع مقالات الكتاب على الإطلاق. ومعظم هذه الأعمال مقالات قصيرة أو مقالات طائرة – بتعبير الدكتور شعبان نفسه –

نشرت فى جريدة «البلاد» السعودية. وقد كان ذلك – فى الحقيقة – السبب فى أحتلال جريدة «البلاد» مقدمة الدوريات العربية المنتجة للمقالات فى موضوع المكتبات الوطنية فى الإنتاج الفكرى العربى جميعه؛ كما أثبت ذلك بحث أخير (١).

ويلى المكتبات الوطنية فى هذا القسم، المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات برصيد ٦ مقالات، والمكتبات العامة بنصيب ٥ مقالات، ثم المكتبات المدرسية فى مقالتين، وأخيراً المكتبات الجامعية والمكتبات الإسلامية برصيد مقالة واحدة لكل منهما.

وتحتل الكتب مقدمة موضوعات قسم مصادر المعلومات، برصيد ١٤ مقالاً، وبنسبة حوالى ٤٠٪ من مجموع مقالات هذا القسم. ومعظم مقالات هذا الموضوع دراسات إحصائية لمعدلات الكتب على مستواها الدولى والعربى والمصرى. ونحن نعلم أن الدكتور شعبان خليفة كان من أوائل المؤلفين العرب الذين تعاطوا هذا الموضوع. ويلى الكتب، من بين مصادر المعلومات، المواد السمعبصرية والمصغرات الفيلمية (٥ مقالات)، ومثل هذا الرصيد الأخير أحرزته الدوريات، ثم المخطوطات برصيد مقالتين، والأطروحات بنصيب مقالة واحدة وهناك ثمان مقالات فى هذا القسم من رصيد الأعمال المرجعية، منها مقالتان لكل من معاجم التراجم والموضوعات، ثم مقالة واحدة لكل من معاجم البلدان ومعاجم المصطلحات الأدلة والكتب السنوية.

والمعالجة الفنية هى ثالث أقسام هذا الكتاب التجميعى من حيث عدد المقالات، ويأتى على رأسها الوراقة والوثائق والوراقيات بنصيب ٨ مقالات، ثم الفهرسة (٤ مقالات)، ورؤوس الموضوعات (٣ مقالات)، والتصنيف (مقالتان).

أما القسم الرابع متعدد الموضوعات، فيبرز فيه موضوع «حركة الكتب والمكتبات فى البلدان العربية» برصيد ٩ مقالات، منها خمس مقالات بالأنجليزية نشرت بالمجلد الرابع. ثم يأتى أقرب الموضوعات التصاقاً بالدكتور شعبان خليفة وهو «النشر والطباعة والتوزيع» بنصيب ٨ مقالات. ويلى ذلك موضوعاً تقنيات المعلومات والترجمة والترجمات برصيد ست مقالات وخمس مقالات من مجموع أعمال هذا القسم على التوالى. فيما هناك موضوعان يشتركان فى رصيد ٤ مقالات هما تنمية المقتنيات وتشريعات المعلومات؛ وموضوعان آخران يشتركان فى رصيد ٣ مقالات هما القراءة وجمعيات المكتبات والمعلومات؛ وموضوعان ثالثان يشتركان فى رصيد مقالتين هما معارض الكتب ومبانى المكتبات. ومقالة واحدة فحسب هى نصيب علم المكتبات المقارن وصناعة الورق وتاريخ المكتبات (والأخير عرض لكتاب). وثمة آراء عامة للدكتور شعبان خليفة فى مجال المكتبات والمعلومات لا تنتمى لأى من الموضوعات السابقة وتقع فى سبع مقالات. بينما هناك – أخيراً – ثلاث مقالات خارج إطار المكتبات والمعلومات على الإطلاق، وهما ثلاثة عروض لكتابين فى الجغرافيا وكتاب فى مجال الفولكلور.

وهكذا، فثمة ثراء واضح فى فكر الدكتور شعبان خليفة فى مجال المكتبات والمعلومات. فالرجل يكتب هنا وهناك، ويطرق ما تصل إليه يداه من أبواب المعرفة فى المجال. ويشعر المطلّع على مقالاته الكاملة – فى مجلداتها الخمسة هذه – بولع الرجل الشديد فى الأخذ بأيدى المتخصصين إلى موضوعات ربما يقرأون عنها فى العربية لأول مرة ، جنباً إلى جنب الأخذ بأيدى عامة القراء – من خلال الصحف والدوريات العامة – والوقوف بهم عند كثير من قضايا المجال المرتبطة بحياتهم اليومية.

٤/٣ فئات البحوث والمقالات

وهكذا أيضاً ، فإننا يمكننا تقسيم «المقالات

الكاملة» للدكتور شعبان خليفة، من حيث فئاتها أو نوعياتهم، إلى قطاعين كبيرين :

- **القطاع الأول** : مقالات متخصصة موجهة أساساً إلى الباحثين فى المجال ويبلغ عدد هذه المقالات ٥٦ مقالة؛ منها - فى الرتبة الأولى - ٤٠ مقالة تقع فى فئة الدراسات والمقالات الأستعراضية، و٦ عروض لكتب متخصصة فى المجال، و٦ مقالات مترجمة، ومراسلتين (إلى مجلد عالم الكتب السعودية)، ومعجم مصطلحات (نشر على عددين فى مجلة عالم المكتبات، وينصب على مجال الببليوجرافيا والفهرسة الوصفية)، وبحث تجريبى يعد من البحوث التجريبية العربية النادرة فى المجال (٢).

- **القطاع الثانى** : مقالات قصيرة تعد بمثابة نظرة فوقية أو نظرة طائر إلى الموضوع - إذا استخدمنا تعبير الدكتور شعبان نفسه. ويبلغ عدد صفحات المقال فى هذه الفئة من صفحة واحدة إلى ثلاث صفحات. فيما يبلغ نصيب هذه الأعمال من مجموع مقالات الكتاب ١٠٤ مقالات.

وليس شك فى أننا نحتاج فى بعض الأحيان إلى صور سريعة تجريدية لموضوع ما أكثر من حاجتنا إلى صور تفصيلية. وقد وجد المؤلف أن ثمة حاجة لمعالجة بعض الموضوعات، مثل المكتبات الوطنية أو معارض الكتب أو أنواع الأعمال المرجعية ودورها فى الفكر الإنسانى، بصورة عامة تنزع إلى التعميم والتجريد أكثر من نزوعها إلى التفصيل والتحديد. ويمكن أن يفيد من هذه المقالات القارئ العام الذى حاول المؤلف تقريب مفاهيم المكتبات والمعلومات إليه بصورة لا تبعث الملل، كما يمكن أن يفيد منها القارئ المتخصص الذى تعد مثل هذه المقالات نقطة البدء بالنسبة لبحثه. ويعضد ذلك أن كماً كبيراً من هذه المقالات كان إما مقالاً فى صحيفة عامة موجهة إلى القارئ العام، أو إفتتاحية لدورية متخصصة.

إن هذه المقالات، على العموم، تعد إضافة قيمة إلى المعرفة فى المجال. وهى تستحق النظر والبحث المستقل؛ لأننا لا نعلم أحداً فى المجال ارتبط بها مثلما ارتبط بها الدكتور شعبان خليفة.

ومثلما كانت هذه الخاصية الأخيرة أكثر التصاقاً بالدكتور شعبان خليفة؛ فإننا فى أنتظار - خاصية أخرى أكثر تميزاً وهى الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية التى توفر عليها، والتى لا شك أن نشرها سوف يكون إثراءً للإنتاج الفكرى وللمعرفة فى المجال. كما أن المقالات الكاملة، والتى اختار الرجل تجميعها وترتيبها فى مجلداتها الخمسة السابقة بصورة زمنية تتيح تتبع تطور فكره الزمنى، لازالت فى حاجة إلى كشاف يجمع موضوعاتها الغزيرة المتفرقة بين هذه المجلدات.

المراجـــــع

(١) محمد فتحى عبد الهادى - المكتبات الوطنية على ضوء الإنتاج الفكرى العربى. الإتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات. مج ٣، ع٥ (يناير ١٩٩٦) . ص ص ١٨٩ - ٢١٢.

(٢) شعبان عبد العزيز خليفة. بين المطبوعات والمصغرات الفيلمية: تجربة قسم المكتبات بجامعة القاهرة لقياس السرعة والفهم ، مارس - إبريل ١٩٨١. فى كتابه : أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات ، مج٢ ، ١٩٧٩ - ١٩٨٣. القاهرة: العربى للنشر والتوزيع ، (١٩٨). ص ص ١٢٩ - ١٥٠.